**د. خطوط رمضان** المدرسة العليا للأساتذة– قسنطينة

**– دواعي إصلاح المنظومة التربوية الجزائرية واعتماد بيداغوجيا المقاربة بالكفاءات:**

لقد شهد العالم في السنوات الأخيرة حركة نشيطة وديناميكية في مراجعة وتحديث المناهج في مختلف المراحل الدراسية، وقد كانت هذه الحركة حتمية نتيجة التغيرات التي مست مختلف نواحي حياة الإنسان، بما فيها الجانب الاجتماعي والاقتصادي والثقافي، ناهيك عن التفجر المعرفي في مختلف المجالات وبشكل خاص المتعلق بتكنولوجيا المعلومات والاتصال.

وكون الجزائر جزءا لا يتجزأ من هذا العالم، فقد بات من الضروري مراجعة المناهج الدراسية وتحديثها في بلادنا، حتى تصبح مسايرة لتلك التغيرات المذكورة سابقا.

وفي هذا السياق جاءت عملية إصلاح المنظومة التربوية في الجزائر، حيث تم إعداد مناهج جديدة شكلت المقاربة بالكفاءات روحها، إذ تقوم هذه المقاربة على بيداغوجيا الإدماج، التي تختلف عن الطريقة التقليدية ذات الطابع التراكمي، أي أصبح الاهتمام منصبا على تكوين التلاميذ وإكسابهم الكفاءات الضرورية التي تسمح لهم بالتكيف مع محيطهم الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والثقافي وكذلك التكيف مع مختلف المستجدات الداخلية والخارجية .

**أهم دواعي الإصلاح الذي تبنته منظومتنا التربوية:**

إن الكلام عن الدواعي والأسباب التي أدت بمنظومتنا التربوية إلى تبني هذه الإصلاحات يطول كثيرا، فالأسباب تعددت والنتيجة حصلت، لكن من أهم الدواعي التي نراها ولعلها تعد أسباب مقنعة في نظرنا، نختصرها في هذه العناصر:

- الانفجار المعرفي وبروز وسائل الاتصال الحديثة
- التدهور الملاحظ على مستوى التلاميذ بالنظر إلى الكفاءات الحقيقية التي يتخرجون بها من الدراسة
- التعديلات الجزئية والتجارب السابقة التي لم تؤتي أكلها
- التحديات الراهنة في مختلف المجالات

- استفحال ظاهرتي التسرب والرسوب المدرسيين
- النتائج الضعيفة خاصة في مختلف الامتحانات الرسمية
- عدم الانسجام الأفقي والعمودي بين المواد والأطوار
- الاقتصار على التقويم ألتحصيلي شكليا لا بيداغوجيا
- سلبية التعلم بسبب هيمنة المعلم رغم تعدد مصادر المعرفة
- اعتبار المعرفة غاية في حد ذاتها
- كثافة البرامج التعليمية التي تحول دون تنفيذها
- اعتبار المؤسسة التربوية مجرد مكان لتلقي المعرفة
- عجز التلاميذ عن توظيف مكتسباتهم لحل مشكل أو للتواصل مع الغير شفهيا

ربما نكون قد أحطنا بمختلف الدواعي التي جعلت وزارة التربية الوطنية آنذاك إلى اعتماد بيداغوجيا جديدة وهي المقاربة بالكفاءات، لذلك نتساءل:

**لماذا المقاربة بالكفاءات؟**

- اختيار لمواكبة التغيرات الحاصلة في العالم. –الانتقال من منطق التعليم إلى منطق التعلم.
- تطوير بيداغوجيا الأهداف. –تجاوز الطرح السلوكي المجزئ للفعل التعليمي التعلمي.
- التركيز على السيرورة أكثر من المنتوج. –تجنيد المعارف النظرية وتحويلها إلى معرفة ذهنية.
- تمكين المتعلمين من بناء المعرفة بالشكل الأمثل.
- تحقيق الانسجام الأفقي والعمودي بين المواد والأطوار. –جعل التقويم ملازما للفعل.
- اعتبار المعرفة وسيلة وأداة وظيفية حتى خارج المدرسة. –إعداد مناهج فعالة وقابلة للتنفيذ.
- المؤسسة التربوية فضاء للاكتشاف والبحث والتفكير والتقويم.

**02- مهارات التفاعل الصفي في ظل المقاربة بالكفاءات:** قبل التطرق إلى هذه المهارات، لابد لنا أن نعرف: ما هو التفاعل الصفي؟ وما أهميته في عملية التعلم والتعليم؟ في الحقيقة هناك عدة تعاريف للتفاعل الصفي، ولعلنا نرى أن التفاعل الصفي: هو كل الأفعال السلوكية التي تجري داخل الصف، سواء كانت لفظية أو غير لفظية

بهدف التواصل ونقل الأفكار والمعارف من المعلم إلى المتعلم أو العكس، بغية تحقيق تعلم أفضل.

**ويمكن تقسيمه إلى قسمين: تفاعل مغلق (أحادي الجانب)** : يعتمد على سيطرة المعلم سيطرة تامة داخل الصف، بينما المتعلم يتلقى المعرفة فقط.

**تفاعل مفتوح (متعدد الجوانب):** يكون المتعلم محورا للعملية التعليمية التعلمية، بينما المعلم موجه ومرشد فقط.

**وتكمن أهمية التفاعل الصفي في :**

-يساعد على التواصل وتبادل الأفكار بين المعلم والتلاميذ مما يساعد على نمو تفكيرهم.

-يساعد في تهيئة المناخ داخل الصف مما يساعد على التعلم الجيد.

-يتيح الفرصة أمام التلاميذ للتعبير عن آرائهم وعرض أفكارهم.

-يساعد المعلم على تطوير طريقته في التدريس، من خلال حوار والتفاعل بينه بين تلاميذه.

-يزيد من حيوية التلاميذ في الموقف التعليمي إذ يعمل على تحريرهم من حالة الصمت والسلبية إلى حالة المناقشة وتبادل وجهات النظر حول أي موضوع .

- يساعد على اكتساب التلاميذ اتجاهات إيجابية نحو المعلم ونحو المادة الدراسية .

-ينمي لدى التلاميذ مهارات الاستماع والتعبير والمناقشة.

-يرفع من مستوى تحصيل التلاميذ ويقوي تعلمهم .

**-مهارات التفاعل الصفي في ظل بيداغوجيا المقاربة بالكفاءات:** إن أهم ما جاءت به هذه البيداغوجيا هو تغيير تلك النمطية القائمة بين المعلم والتلميذ، فجعلت من التلميذ محورا للعملية التعليمة، وجعلت من المعلم الموجه والمرشد أثناءها، ولعل من أهم المهارات التي نراها ضرورية بالنسبة للمعلم لتأديته مهمته على أكمل وجه ممكن ما يلي:

**- الاستماع والإصغاء للتلاميذ:** لعلنا لا نبالغ إذا قلنا انه من أهم الأسباب التي أدت إلى التسرب المدرسي هي طريقة تعامل المعلم مع التلميذ، فنجد الكثير من المعلمين من لا يسمعون لتلاميذهم، خاصة ضعيفي التحصيل منهم، لذلك ينبغي على المعلم:

- استخدام لغة الجسم لإظهار الاهتمام وتشجيع التلميذ على النشاط والمشاركة داخل القسم.

– الاتصال بالنظر عند مخاطبة التلميذ وتوزيع نظره على جميع التلاميذ دون تمييز.
– الاهتمام بالتلميذ أثناء إجابته أو طرح انشغالاته.
– الإيماء بالرأس لتحسيس التلميذ بالاهتمام به.

–**تقبل مشاعر وأفكار التلاميذ:** ويكون ذلك من خلال القدرة على الاستجابة للتلاميذ بصدر رحب، وتقبل وجهة نظرهم، وأخذها بعين الاعتبار وإظهار الرغبة في توضيحها وبحثها.

– **طرح الأسئلة بطريقة جيدة:** ربما تكون هذه المهارة من المهارات التي تؤثر سلبا أو إيجابا على العلاقة بين التلميذ ومعلمه، فينبغي على المعلم مراعاة ما يلي:
– أن يكون السؤال واضحا لتجنب إعادة صياغته.
– طرح السؤال على الجميع ثم اختيار التلميذ المجيب.
– تجنب الأسئلة الموحية بالإجابة إلا في حدود الحاجة إليها .
– إعطاء التلاميذ الوقت الكافي للتفكير في السؤال المطروح قبل اختيار التلميذ المجيب.
– استخدام الأسئلة المتنوعة ( تذكر ، تطبيق ، تقويم ) .
– احترام أسئلة التلاميذ وعدم رفضها .

– **التشجيع والتعزيز:** ويتضمن ذلك عبارات الثناء والتشجيع التي يستخدمها المعلم والتي تثير حماس التلميذ وتشجعه على الاستمرار في المشاركة، ولا ينبغي أن يكون الثناء على التلميذ الذي يجيب إجابة صحيحة فقط، بل يكون الثناء والشكر للتلميذ الذي أجاب إجابة خاطئة، ومن ثم توجيهه والتصحيح له.

**03– عوائق التفاعل الصفي في ظل المقاربة بالكفاءات:** إن تحكم المعلم في صفه،يعد من ابرز الخطوات الرئيسية لإنجاح العملية التدريسية، والتفاعل المتبادل بينه وبين تلاميذه، يجب أن يكون له الدور الأكبر في تسييره ، ونحن لا ننسى دور التلميذ في هذه البيداغوجيا، لكن يجب على المعلم أن يلعب دوره كما يجب، وان يدير صفه بشكل جيد .

ربما يرى البعض أن الإدارة الصفية هي التي تحدد لنا تفاعلا صفيا جيدا، وهذا صحيح من ناحية، لكن من ناحية أخرى لا بد لنا أن نشير إلى أن قدرة المعلم على إدارة صفه وقيادته بشكل فعال، لن تتحقق إلا إذا كان يملك كفاءات التواصل والتفاعل الصفي.

لكن هناك ما يعيق هذا التفاعل، خاصة في ظل بيداغوجيا المقاربة بالكفاءات، واهم هذه العوائق نذكر منها: - عدم إتاحة الفرصة للتلميذ للتعبير عن أفكاره.

- انقطاع الأنشطة الصفية الممتعة بسبب انتهاء الحصة.
- الصوت المرتفع والصراخ من قبل المعلم أو التلاميذ.
- تعرض المتعلم في الصف لمواقف عديدة من الصراع والتناقض.
- مطالبة المعلم الملحة للتلاميذ بالانضباط.

**وحسب رأينا فان كل هذه العوائق تدخل تحت الأسباب الرئيسية التالية :**

**1- نقص التكوين:** تلعب الدورات التكوينية دورا مهما جدا من حيث تزويد الأساتذة بكل ما هو جديد في الحقل التربوي فمشاركة الأساتذة في هذه الدورات التكوينية يساعدهم على الاحتكاك ببعضهم البعض ومناقشة مستجدات هاته العملية، فالتكوين، كما نعلم هو الحجر الأساس لبناء أي بيداغوجيا أو أي عمل جديد، فالمعلم الذي تلقى تكوينا في هذا المجال سيكون له الأثر الايجابي على مردوده بالطبع، لكن ما نلاحظه من خلال بعض الدراسات أن المعلمين يشكو معظمهم من غياب التكوين أو انه غير كاف، وعلى سبيل المثال نجد من خلال دراستنا التي قمنا بها حول استفادة أساتذة للتعليم الثانوي من الدورات التكوينية في ظل المقاربة بالكفاءات وجدنا النتائج في الحقيقة مؤسفة جدا:

| الاستفادة من الدورات التكوينية في ظل المقاربة بالكفاءات | التكرارات | % |
|---|---|---|
| تكوين كاف | 9 | 9,9 |
| عدم التكوين | 34 | 37,4 |
| تكوين غير كاف | 48 | 52,7 |
| المجموع | 91 | 100 |

إذن من خلال النتائج المدونة في الجدول أعلاه نجد أن أستاذا واحدا من بين 10 كانت مشاركته في هذه الدورات التكوينية فعالة .

**2-بيداغوجيا المقاربة بالكفاءات تتطلب بذل الكثير من الجهد:** مما لا شك فيه أن استخدام المقاربة بالكفاءات كطريقة تدريس يتطلب من الأستاذ بذل جهد كبير، نظرا للصعوبات السابقة التي طرحناها كنقص في التكوين في هذا المجال، والنتيجة المحصل عليها من خلال دراستنا، تعكس فعلا ما يتطلبه تطبيقها، كما أن مناقشته

وإتاحة الفرصة له لإبداء رأيه يتطلب الكثير من جهد، وهذا ما أثبتته دراستنا حيث وجدنا:

وهذا يعني أيضا أن 09 أساتذة تقريبا من بين 10 يرون أن متابعة تعلم كل تلميذ يتطلب بذل جهد كبير.

| متابعة تعلم كل تلميذ يتطلب بذل جهد كبير | التكرارات | % |
|---|---|---|
| نعم يتطلب بذل جهد كبير | 78 | 87,6 |
| لا يتطلب بذل جهد كبير | 11 | 12,4 |
| المجموع | 89 | 100 |

**3- اكتظاظ الأقسام** : كما ذكرنا من قبل فان بيداغوجيا المقاربة بالكفاءات جاءت لتجعل من التلميذ محورا للعملية التعليمية التعلمية فكل تلميذ بتعلم حسب قدراته وإمكاناته، لكن بالنظر إلى حجم أقسامنا اليوم فإننا نجدها مكتظة بالعدد الهائل من التلاميذ ، وهو ما سيؤدي حتما إلى التأثير على السير الحسن للعملية التعليمية، ومنه التأثير على عملية التفاعل والتواصل بين المعلم وتلاميذه، وقد وجدنا :

وهذا يعني أن أكثر من09 أساتذة من بين 10 يرون بان عدد التلاميذ في القسم لا يسمح بمعالجة وتصحيح أخطاء كل تلميذ.

**04-آفاق تكوين المعلمين والارتقاء بمستواهم في ظل بيداغوجيا المقاربة بالكفاءات:**

إن الطريقة الأفضل لقياس جودة المدرسة هي بتقدير مؤشرات الناتج أي ما تعلمه التلميذ بالفعل فالمدرسة التي تنتج قدراً أكبر من التعلم لدى التلاميذ بنفس القدر من المدخلات قد تكون هي المدرسة الأفضل.

**كيف يكون الارتقاء بفعالية المعلمين؟**

يشير لورين أندرسون في كتابه الصادر عن المعهد الدولي للتخطيط التربوي سنة

| عدد التلاميذ داخل القسم ومعالجة وتصحيح أخطاء كل تلميذ | التكرارات | % |
|---|---|---|
| يسمح بمعالجة وتصحيح أخطاء كل تلميذ | 7 | 7,7 |
| لا يسمح بمعالجة وتصحيح أخطاء كل تلميذ | 84 | 92,3 |
| المجموع | 91 | 100 |

1992 أنه لاشيء يدل على أن الحوافز المقدمة للمعلمين خاصة الزيادة في أجورهم أو الضغوطات التي تفرض عليهم تؤدي دائماً إلى تطور ملاحظ ومستديم لفعالية تعليمهم.

وعليه لابد أن تتخذ الخطوات المبدئية التالية لزيادة الفعالية :

**1- تخطي التردد اتجاه التغيير:** عن طريق اقتناع المعلمين ووعيهم بضرورة التغيير، وتزويدهم بالمعارف من خلال برامج التكوين أثناء الخدمة.

**2-** تقديم الإعانة للمعلمين المقبلين على تطوير أدائهم من خلال شتى الوسائل داخل مدارسهم.

**3- التكوين :** لم يعد يقتصر تكوين المعلمين على برنامج دراسي مدته سنتان أو أكثر قبل الالتحاق بالمهنة بل أصبح التكوين أثناء الخدمة عنصراً هاماً وضروريا بالنسبة لهم .

إن تكوين المعلمين أثناء الخدمة يأخذ أشكالاً مختلفة باختلاف البلدان بل المناطق في البلد الواحد وهناك إجماع على النقاط التالية في كافة البرامج التكوينية أثناء الخدمة :

. التكوين المستمر طوال مدة الخدمة.

. التكامل بين الإعداد قبل الخدمة والتكوين أثناءها.

. ازدياد الاهتمام بالتكوين أثناء الخدمة.

. يستند وضع برامج التكوين أثناء الخدمة على نتائج البحث التربوي وحاجات النظام التربوي.

. من أهم عناصر بناء برامج التكوين تقويم عمل المعلمين وتقويم إنجاز الطلبة.

ولكي تكون برامج التكوين أثناء الخدمة فعالة يجب تصميمها بحيث تتماشى مع مستوى التكوين الذي حصل عليه المعلم قبل الخدمة مع ملاحظة حاجة المعلمين الدائمة إلى تعليم مستمر أثناء الخدمة لكي يبقوا على اتصال بكل جديد ومتغير في مهنتهم ويحسنوا أداءهم.

لذلك لابد من إعادة النظر في دور المعلم في المرحلة القادمة آخذين بعين الاعتبار التغير السريع في بيئة التعليم التي لن تلبث أن تصبح بلا جدران ولا حدود. فها هي تكنولوجيات المعلومات والاتصالات الجديدة والطرق السريعة للمعلومات تحطم احتكار المعرفة الذي ظل طويلاً في قبضة النظم التعليمية.

ويبدو أن الدور الجديد للمعلم أخذ يتبلور في كونه الميسر للتعلم الذاتي والمرشد إلى عالم المعلومات بدلاً من المصدر الذي لا يرقى إليه الشك أو المصدر الأوحد للمعلومات.

وأصبح لزاماً عليه أن يتعلم كل ما يتعلق بأدوات وتكنولوجيا الإعلام والاتصال.